

السياسة النبوية في اكتشاف القدرات وتنمية المهارات

عبد الكريم عثمان علي عثمان^١حسن عبد الله حمد النيل^٢

مستخلص

السنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم معين لا ينضب، متجدد بمدد الوحي الإلهي، اغترف منه العلماء كل حسب طاقته ومشربه، كيف لا وفي سنة رسول الله ﷺ الهدى المتكامل، الذي يبدأ من بناء العقيدة الصحيحة، ثم ينتزل ليعم كل مفردات الحياة الإنسانية قولاً وفعلًا. تناول هذا البحث موضوع السياسة النبوية في اكتشاف القدرات وتنمية المهارات، ويلتقي معنى السياسة في هذا البحث مع المعنى المعروف للتربية إذ كل منهما يعتني بتنمية الإنسان. جاء منهج النبي ﷺ في اكتشاف القدرات على مستويين: نظري وتطبيقي، واهتم النبي ﷺ بمعرفة قدرات أصحابه، ليضع كل منهم في ما يناسبه، وأتخذ وسائل سياسية في اكتشاف القدرات منها: دقة الملاحظة، والأخلاق الحسنة، والأسئلة وتحريك الأذهان وغيرها، ومن الوسائل النبوية في تنمية المهارات الإيمان بالله، والدعاء، والتحفيز والتشجيع، وتبادل الخبرات والمعلومات وغيرها.

ABSTRACT

Sunnah on its owner the best prayer and delivery inexhaustible , renewable duration divine revelation , insider cruised from scientists each according to his ability and drank , how can it not in the Sunnah of the Messenger of Allah peace be upon him guidance is integrated , which starts from building the correct belief and then descends to engulf every vocabulary human life in word and deed .This research dealt with the subject of politics in the prophetic discovery capabilities and skills development , and meet the meaning of politics in this research concerned with the well-known for breeding because each takes care of the development rights.The approach of the Prophet peace be upon him in discovery capabilities to Mistooan : theoretical and applied , and care of the Prophet peace be upon him to know the capabilities of his companions , to put them all in what suits him , and taken political means in the discovery capabilities including: accuracy of observation , and good morals , and the questions and move the mind and others, it means the development of skills in the prophetic faith in God , and pray , and stimulators , and the exchange of experiences and information among others

الكلمات المفتاحية:

القدرات - المهارات - التحفيز والتشجيع

مقدمة

السنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم معين لا ينضب، متجدد بمدد الوحي الإلهي، اغترف منه العلماء كل حسب طاقته ومشربه، كيف لا وفي سنة رسول الله ﷺ الهدي المتكامل، الذي يبدأ من بناء العقيدة الصحيحة ثم ينتزل ليعم كل مفردات الحياة الإنسانية قولاً وفعلاً.

لقد بعث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في أمة أمية يحف بها الجهل والتخلف في كل مظاهر الحياة، فلما أوقد فيها ﷺ شعلة الهداية الربانية تحولت هذه الأمة في يسير من الزمن إلى أمة رائدة قائدة، قدمت للعالم نموذجاً حضارياً لم يشهد له التاريخ الإنساني مثيلاً، وما كان ذلك ليكون لو لم يسبقه بناء سليم متكامل للفرد الذي هو نواة الأسرة والمجتمع.

إننا بحاجة ماسة وملحة للغوص في سنة رسول الله ﷺ لاستكشاف المنهج النبوي في تربية الأفراد من خلال معرفة قدراتهم، ثم السعي نحو تطويرها وتنميتها وصولاً لبناء الأمة الربانية، وهذا ما سيناquشه هذا البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان السياسة النبوية في اكتشاف قدرات الصحابة وتنمية مهاراتهم، وكيف استفادت هذه السياسة منهم في بناء الدولة.

سبب اختيار الموضوع: السنة النبوية معين لا ينضب وهي متجددة وتحتوي أفضل المناهج لبناء الإنسان وقدراته، فقد اخرج هذا المنهج جيل الصحابة والتابعين، فلا بد من محاولة إحياء هذه المعالم.

المبحث الأول

حول مفهوم السياسة النبوية والقدرات والمهارات

الإنسان حامل الأمانة الإلهية، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ

يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

﴿٧٢﴾ (١)، فقد خلق الله الإنسان وهده النجدين، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، والعقل والقلب، وبعد كل ذلك لم يتركه سدي، بل أرسل له الرسل ليدلوه على طريق الفلاح، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ

﴿٢٤﴾ (٢)، وقال: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿١١٥﴾ (٣)، فالرسل هم هداة الخلق، ودعاتهم إلى ربهم، من خلال الدين الذي ارتضاه الله رب العالمين، والدين في واحد من تعريفاته هو وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال (٤)، وصلاح الحال وفلاح المال رجاء كل مؤمن بالله ورسوله.

إن رسالة سيدنا محمد ﷺ هي خاتمة الرسالات، فلا نبوة بعد رسول الله، ولذلك جاء الإسلام موافقاً للفطرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ

ذَٰلِكَ الْبَرُّ الْقَيُّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (٥)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه

قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧٢

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٤

(٣) سورة النساء، الآية ١٦٥

(٤) يوسف حامد العالم (١٩٩٤م) المقاصد العامة للشريعة

الإسلامية، ط ٢، دار الكتاب الإسلامي الرياض، ص ٢٠٣ .

(٥) سورة الروم، الآية ٣٠

تحسون فيها من جدعاء^(٦)، إن للفطرة في ديننا معني عظيم شامل لمعطيات الدين، عقيدة وعبادة معاملة وأخلاقاً، يقول الدكتور عبد الحليم أحدي في معنى الفطرة: أن ما جاء به الإسلام من المباديء العظيمة يوافق ما خلق الله عليه الإنسان من الصفات المختلفة، وما أوجد عليه هذا الكون الذي يعيش فيه ذلك الإنسان من السنن والنواميس القويمة^(٧)، ومن سنن ونواميس هذا الكون تفاوتت الناس واختلافهم، وسعيهم نحو الأفضل، ويسعي هذا البحث لبيان سياسة النبي ﷺ في معرفة قدرات أصحابه وتنمية مهاراتهم.

حول مفهوم السياسة النبوية:

السُّوس بالفتح: الرياسة، وساسوهم سوساً، وإذا رأسوه قيل سوسوه وأساسوه، ورجل ساس من قوم ساسة وسواس وأنشد ثعلب:

سادة قادة لكل جميع *** ساسة الرجال يوم القتال

وسوسه القوم جعلوه يسوسهم، والسياسة فعل السائس وهو من يقوم على الدواب ويروضها^(٨)، ومن المجاز سست الرعية سياسة بالكسر أمرتها ونهيتها، وساس الأمر سياسة قام به^(٩)، وفي الحديث: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياءهم أي تتولي أمورهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه)^(١٠)، وقال أبو البقاء مقسماً السياسة ومفصلاً في معناها: السياسة هي استصلاح الخلق بإرشادهم إلى

الطريق المنجي في العاجل والآجل، وهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير، ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير، والسياسة البدنية تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل^(١١) تلقي السياسة بهذا المعني مع معني التربية، لأنَّ التربية هي العملية التي يتم بمقتضاها تنمية الشخصية الإنسانية، وبناء الإنسان الكامل داخل الهيكل الأدبي، بناء يبلغ معه غايته التي يريها من الكمال الإنساني، ويكون ذلك من جميع الجوانب النفسية والعقلية والاجتماعية^(١٢)، والتربية تختلف باختلاف فلسفتها ومناهجها، فالتربية الإسلامية هي التي تنبع من تعاليم الإسلام، وتستمد منه شرعيتها ومناهجها.

إن السياسة بهذا المعني تعني المنهج المتكامل الذي ربي عليه رسول الله ﷺ أصحابه، وأخرجهم به من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، ومن ضلالات وخرافات الجاهلية وتخلفها إلى سماحة ورقي وخير الإسلام، ومن عالم إهدار الطاقات والقدرات فيما يضر ولا ينفع إلى ربط الحياة بهدف سام وجليل هو رضا الله، فقد أصلح الله به أحوالهم الظاهرة والباطنة، وصاروا في مدة وجيزة قادة للإنسانية، ومؤسسين لأرقى حضارة عرفت البشرية، وقد بيّن صلوات الله وسلامه عليه في كثير من أحاديثه هذا الفضل الإلهي، فقد جاء في صحيح البخاري: (لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم

(٦) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (د.ت) المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب القدر، ج ١٦، المطبعة المصرية، ص ٢٠٧.

(٧) عبد الحليم أحدي، فطرية الإسلام عند ابن تيمية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٢٠ مايو ١٩٩٣م.

(٨) الزبيدي، مرتضى (د.ت) تاج العروس، ج ١٦، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ص ١٥٩.

(٩) المرجع السابق، ص ١٥٧.

(١٠) ابن منظور، محمد بن مكرم (١٣٠٠هـ) لسان العرب، ج ٧، المطبعة الأميرية بولاق، مصر، ص ٤١٣.

(١١) باقر شريف القرشي (١٩٨٧م) النظام السياسي في الإسلام، ط ٤، دار المعارف للمطبوعات، ص ٣٨.

(١٢) حمودة، محمد يوسف (١٩٨٩م) منهج التربية عند الإمام أبي العزائم، ط ١، دار المدينة المنورة للطبع والنشر، ص ٣٥.

على بعض المقدورات دون بعض^(١٦)، إن القدرات التي نتكلم عنها في هذا البحث نعني بها الإمكانيات الشخصية للأفراد جسدياً وعقلياً ووجدانياً، فالإنسان روح وجسد، وللروح حاجاتها كما للجسد حاجاته، وليس للإنسان قدرة إلا بقدرة الله، واقتضت حكمته تعالى أن ينفوذاً الناس في قدراتهم وقواهم الجسدية والعقلية والوجدانية وغيرها، فمن الناس من زاده الله بسطة في العلم والجسم، ومنهم من رزقه الفهم والذكاء الخارق ومنهم من منحه القدرة على القيادة وهكذا، وهنا يأتي دور المربين والمصلحين، كيف لهم أن يكتشفوا قدرات الناس كل في مجاله؟ وكيف لهم تنمية ذلك والوصول به إلى مراقي الكمال البشري ؟ ، إننا حين نحاول تحديد المشكلة التي يعاني منها العالم الإسلامي المعاصر نجدها تتمثل في سوء استغلال العقول البشرية وسوء توزيعها في مواقع الحياة المختلفة، وعن هذا السوء تنتج مضاعفات مدمرة في السياسة والاقتصاد والإدارة والأمور العسكرية، والمعرفة وغير ذلك، إذ الأصل أن الله يخلق في كل جيل درجات من الفهم والعلم ليصير منهم قيادة يمتحنون بحسن الاقتداء والتنفيذ: ﴿وَرَفَعَ فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٧)، والتربية السليمة هي التي تعد الخامات البشرية وتوزعها في درجات المسؤولية ومواقع العمل^(١٨).

إن منهج التربية النبوية الذي أعدَّ خير أمة أخرجت للناس، يقدم الأسوة الحسنة في معرفة

أجداكم ضللاً فأهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالة فأغناكم الله بي . كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمن، قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ. كلما قال شيئاً قالوا الله ورسوله أمن، قال: لو شئتم قلتم: جئنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض^(١٩).

حول مفهوم القدرات:

القَدَرُ: القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل، والقَدَرُ: مبلغ الشيء وبضيم، والقَدَرُ: الطاقة^(٢٠)، ويقال: استقدر الله خيراً، واستقدر الله خيراً: سأله أن يقدر له به قال:

فاسترزق الله خيراً وارضى به
فبينما العسر إذ دارت مياسير

وفي حديث الاستخارة اللهم إني أستقدرك بقدرتك: أي أطلب منك أن تجعل لي عليه قدرة، وقدر الرزق يَقْدَرُه: قسمه، والقَدَرُ والقُدرة والمقدار: القوة، والافتقار على الشيء: القدرة عليه، والقُدرة مصدر قولك: قَدَرَ على الشيء قُدرة أي ملكه، فهو قادر وقدير... والقَدَرُ: الغني والإيسار، وهو من ذلك لأنه كله قوة^(٢١) والقُدرة من صفات الله تعالى، قال أبو منصور التميمي: قد وردت السنة بذكر القادر والمقتدر في أسماء الله تعالى، وزاد القرآن الكريم على هذين الاسمين باسمه القدير، والقدير أبلغ من القادر، والمقتدر كذلك، ودلالاتها في حق الله تعالى القدرة على كل شيء، وحيث يوصف المخلوق بلفظ قادر، فيعني القدرة

(١٦) تتان، عبد الكريم (١٩٩٤م) عون المريد شرح جوهرة التوحيد، ط١، ج١، دار البشائر للنشر والتوزيع، دمشق، ص٣٣٠.

(١٧) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.

(١٨) هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ماجد الكيلاني، ص٣٠٠.

(١٩) البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٨٧م) الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، ج٥، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ص١٥٧.

(٢٠) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ص٣٧٠.

(٢١) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص٣٨٤.

المستوي الفردي فقط، وإنما الأمة بمجموعها مدعوة لتحقيق التفوق على باقي الأمم لتقديم للناس خير الدنيا على منهج رباني يحس فيه الإنسان بالأمان والطمأنينة، إن نصوصاً كثيرة من القرآن والسنة تدعو لهذه القضية وتضع لها الحوافز المادية والمعنوية، لأهميتها الاجتماعية والاقتصادية، فالأمة التي تصاب بالغبثية والعبثية في الانتاج وعلاقات العمل، تهدر طاقة كبيرة من طاقتها الاقتصادية، وتضيع عليها مواردها البشرية وتصبح في مؤخرة الأمم، تصبح أمة مستهلكة معطلة لطاقتها العقلية والجسدية، فتغيب عن الشهود الحضاري الذي هو مهمتها وأساس رسالتها.

إِنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، هَذَا أَمْرٌ وَقَعَ فِي كُلِّ مَجْتَمَعٍ بَشَرِيٍّ، وَلَيْسَ هَذَا خُلَافاً فِي مِيزَانِ الْكُونَ وَنَوَامِيسِهِ، إِنَّمَا وَرَاءَهُ مِنَ الْحُكْمِ وَالْأَسْرَارِ الْكَثِيرِ، صَرَحَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي بَعْضِ آيَاتِهِ بِبَيَانِ الْحِكْمَةِ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحَارًا وَرَحِمْتُ رَبِّيكَ خَيْرٌ مِمَّا

يَجْمَعُونَ ۚ﴾ (٢٣)، وأكثر ما يظهر التفاوت بين بني آدم لأن لهم لهم طاقات هائلة كبيرة، يقول الراغب الأصفهاني بعد أن ذكر فضل الإنسان على الحيوان: ولما ذكرنا لم يكن بين بعض هذه الأنواع وبعضها من التفاوت ما بين إنسان وإنسان، فإنك ترى واحداً كعشرة، بل واحداً كمائة، وعشرة أخرى هدره دون واحد، كما قيل لامرأة في منامها: عشرة هدره أحب إليك أم واحد كعشرة؟ فقالت: بل واحد كعشرة، لا بل ترى واحداً كآلف وألف مثل واحد كما قال القائل:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت
لدي المجد حتي عدُّ ألف بواحد

(٢٣) سورة الزخرف، الآية ٣٢.

الكفايات والقدرات وكيفية تنميتها، فالرجل المناسب في المكان المناسب عمل تقتضيه سنن ونواميس الله في هذا الكون، ومبدأ تدعو إليه الفطرة السليمة وتتبناه كل النظريات الإدارية القديمة والحديثة، ولن نجد أفضل ولا أبرك مما طبقه رسول الله ﷺ مع أصحابه، فمنهجه في ذلك هو خير المناهج ومدرسته هي أفضل المدارس، وهذا ما سيتبين بالتفصيل في المباحث القادمة.

حول مفهوم المهارات:
الماهر: الحاذق بكل عمل، وأكثر ما يوصف به السابح المجيد... وقد مهر الشيء وفيه وبه يمهز مهراً بالفتح ومهوراً بالضم ومهاراً ومهارة بفتحهما أي صار حاذقاً^(١٩)، وقالوا: لم تفعل به المهرة، ولم تعطه المهرة وذلك إذا عالجت شيئاً فلم ترفق به ولم تحسن عمله، وكذلك إن غدّي إنساناً أو أدبه فلم يحسن^(٢٠).

وفي الحديث: الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة. والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه، وهو عليه شاق، له أجران^(٢١)، قال عياض: المهارة: جودة القراءة بجودة الحفظ ولا يتردد فيه^(٢٢)، فالمهارة هي تجويد الأداء وإتقان العمل، وإذا كان هذا المبدأ من المبادئ التي ينادي بها جميع أهل الملل والنحل لتحقيق الرفاه الدنيوي والتقدم التكنولوجي، فإن الإسلام يأمر بإتقان العمل وتحسينه، ويؤسس لمفهوم الجودة الشاملة وإتقان التخصص، وفق نظرة كلية لهذا الوجود الذي تكون فيه الدنيا بكل أعمالها مطية للآخرة يسعى الإنسان فيها لتحقيق أهدافه وأهداف أمته، وليست المهارة والحق في الأعمال مطلوبة على

(١٩) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ص ١٥٦.

(٢٠) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٢١) مسلم بن الحجاج (د.ت) الجامع الصحيح، باب فضل

الماهر بالقرآن، ج ٢، المكتبة العامة تركيا، ص ١٩٥.

(٢٢) القاضي عياض (١٩٩٨م) إكمال المعلم بفوائد مسلم،

ط ١، ج ٣، دار الوفاء مصر، ص ١٦٦.

مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ (٢٩).

قال القاضي عياض: اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة عن جميل ذكر المصطفى ﷺ، وعدّ محاسنه، وتعظيم أمره، وتنويه قدره (٣٠)، لقد بعث رسول الله ﷺ في أمة أمية، معتقداتهم فاسدة، وعاداتهم سيئة، وأفكارهم منحرفة، وطاقاتهم مهذرة، وحياتهم كلها سدي، فأخذ بيدهم بسياسة حكيمة، تغلغل من خلالها في وجدانهم فأسلموا له القيادة، وأسئلوا له المقاد، فأنكشت أمامه خبايا نفوسهم، كأنها كتاب مفتوح، يعرف منهم ما لا يعرفونه عن نفوسهم، ويعالج فيهم ما عجزوا عن علاجه، حتي تكاملت ملامح المجتمع المسلم في المدينة بعد هجرته إليها بتأسيس دولته المباركة التي أصبحت الحاجات تنطور فيها يوما بعد يوم، والدولة إنما تنهض برعاياها ومواطنيها، ولذلك حرص رسول الله ﷺ على اكتشاف قدرات أصحابه لينبني على ذلك توزيعهم في مرافق الدولة الناشئة في كل المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، دون محاباة ولا مجاملة، ليؤسس ﷺ بذلك منهجا في الإدارة غير مسبوق. ولقد جاء منهجه ﷺ في ذلك على طريقتين: الطريقة الأولى نصوص تحمل موجهاً عامة فيها توجيهات لكل الناس، فكأنها تمثل الإطار النظري لهذا العمل، ونصوص جاءت مع أشخاص بعينهم كانت تمثل الإطار التطبيقي العملي، ولا استغناء عن واحد من الاتجاهين، فكل منهما له خصوصيته التي ينبغي أن يفهم من خلالها.

نماذج من النصوص العامة:

بل قد تري واحدا عشرة آلاف، وتري عشرة آلاف دون واحد كما قال عليه السلام: الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة (٢٤)، والإبل في تعارفهم اسم لمائة بعير، فمائة إبل هي عشرة آلاف (٢٥).

المبحث الثاني: السياسة النبوية في اكتشاف القدرات

بعث الله رسوله محمدا ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليحقق لهم الحياة الكريمة، أفرادا وجماعات، فأمن به أصحابه رضوان الله عليهم، وأحبه وقدموه على النفس والمال والولد، وجاهدوا معه ونصروه فمنحهم الله شهادة الفلاح حيث قال فيهم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّتِي الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (٢٦)، أما من جانبه هو ﷺ تجاههم فقد كان هو المربي والقائد والمعلم والهادي، فقد قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ (٢٧)، وقال في حقه أيضا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (٢٨)، وقال فيه أيضا: ﴿فِيمَا رَحِمَ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا

(٢٤) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، بلفظ إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة، ج٨، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٢٥) الراغب الأصفهاني (١٩٨٥م) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ط١، دار الصحو، القاهرة، ص ٨٨.

(٢٦) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٢٧) سورة الشورى، الآية ٥٢.

(٢٨) سورة القلم، الآية ٤.

(٢٩) سورة الأعراف، الآية ١٥٩.

(٣٠) القاضي عياض (د.ت) الشفا بتعريف حقوق

المصطفى، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٣.

يقول رسول الله ﷺ: إذا كانت أُمُورُكُمْ خِيارَكُمْ، وأَغْنِيَاؤُكُمْ سَمْعًاكُمْ، وَأُمُورُكُمْ شُورِي بَيْنَكُمْ فَظَهَرِ الْأَرْضُ خَيْرَ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وَإِذَا كَانَ أُمُورُكُمْ شَرَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بَخْلًاكُمْ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نَسَائِكُمْ فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرَ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا^(٣١)، فهنا يبين صلوات الله وسلامه عليه حجم الخلل الذي يدفع ثمنه المجتمع حينما يكون شراره هم الأمراء، وحينما ينزوي الرجال عن مهمتهم الأساسية في إدارة الشأن العام والخاص ويتركوا المجال للنساء فقط، فالحديث فيه دعوة للبحث عن الأخيار وإعادة إنتاجهم في المجتمع، والخيرية معني جامع يتمثل في القدرات العالية مع الإيمان والعمل الصالح، وليس في الحديث انتقاص لقدر المرأة أو التقليل من شأنها إنما الذي يدعو إليه الحديث أن تحدث موازنة في المجتمع. ويقول ﷺ: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: فكيف إضاعتها يا رسول الله؟ إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة^(٣٢)، قال ابن حجر: والمراد من الأمر جنس الأمور التي بالدين، كالخلافه والإمارة والقضاء والإفتاء وغير ذلك^(٣٣)، وفي هذا الحديث دعوة واضحة للبحث عن أصحاب القدرات بمختلف تخصصاتهم، ليوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فكل أمر أهلون كما في الحديث، وأهل كل عمل هم المقتدرون على أدائه، الصالحون للقيام به على الوجه الأكمل، إنها دعوة نبوية لمحاربة الفساد الإداري، ودعوة نبوية للتخطيط والتدريب السليمين الذين ينجو بهما المجتمع من هذه الآفات.

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة^(٣٤)، ليس من المصادفة أن يأتي هذا الحديث بعد حديث تضييع الأمانة في ترتيب البخاري للأحاديث، ولا يخفي ما في هذا الحديث من تحرير واضح لمبدأ وجوب البحث عن القدرات والكفايات البشرية، والتنبيه على أنه من الأمور الصعبة التي تحتاج إلى الجهد وإعمال الفكر، فالراحة هي التي يختارها الرجل لمركبه، والتي تتحمل مشاق السفر وشدائده، فذلك الناس قليل منهم من يصلح للمسؤولية والقيادة

وقال عليه الصلاة والسلام: يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله وإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سنًا، ولا يؤم الرجل في سلطانه ولا يُجلس على تكمته إلا بإذنه^(٣٥)، فأقرأ القوم إشارة إلى أصحاب القدرات الصوتية والعقلية، إذ كيف نعرف أقرأ القوم إن لم نهتم بالإجراءات الكشفية عنهم من إجراء الامتحانات وتحرير الشهادات بكل مصداقية وعدالة، ويقول ﷺ: أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح^(٣٦)، إنها قدرات متنوعة عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الحديث إشارة إلى أهمية معرفة القيادة بالقاعدة، والرئيس بالمرؤوسين، حتي يسهل الاختيار ساعة الحاجة

(٣١) الترمذي، محمد بن عيسى (١٩٨٦م) الجامع الصحيح، ط ١، ج ٤، دار الفكر بيروت، ص ٤٥٩، وقال عنه، غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المري وفي حديثه غرائب ينفرد بها ولا يتابع عليها.

(٣٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (د.ت) فتح الباري، كتاب الرقاق، ج ١١، المكتبة السلفية، ص ٣٣٣.

(٣٣) المرجع السابق، ص ٣٣٤.

(٣٤) المرجع السابق، ص ٣٣٣.

(٣٥) مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، باب من أحق

بالإمامة، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٣٦) الترمذي، الجامع الصحيح، مرجع سابق، ص ٦٢٣،

وقال حسن غريب.

إلى التكليف بعمل معين، ويقول ﷺ: النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفُضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا^(٣٧). ففي هذا الحديث يظهر صلوات الله وسلامه عليه الفروق الفردية في قدرات النَّاسِ فمن المعادن الجيدة والردية ومنها الغالي والنفيس والنادر، ومنها الرخيص المتوفر وهكذا. قال العلامة المناوي في تعليقه على حديث قريب من هذا في الجامع الصغير: والحديث ورد على منهج التشبيه في التفاضل في الصفات الوهبية والكسبية، كالأخلاق الجبلية، والآداب الحاصلة بواسطة الأدلة، وشتان في القياس بين الذهب والفضة، والرصاص والنحاس، فيقدر ما بين ذلك من التفاوت تكون الصفة في الأشخاص، كأنه قال: الناس يتفاوتون في الصفات الذاتية والعرضية كما تتفاوت المعادن في ذاتها وأعراضها القائمة بها من العلل والأدناس^(٣٨)، ومن مراعاته ﷺ للفروق الفردية في القدرات والميول توجيهه لبعض أصحابه حين يسأل عن أفضل الأعمال، فما كانت إجاباته موحدة للجميع فكان يجيب كل واحد بما يناسبه ويلئم حاله وزمانه ومكانه، ولكل ماورد في هذه النصوص العامة تطبيقات عملية في سنة رسول الله العملية، وفي سيرته مع أصحابه صلوات وسلامه عليه وهذا ما سيأتي الحديث عنه في الفقرة التالية.

التطبيقات العملية لاكتشاف القدرات في السنة النبوية

إن المتنوع لسيرة رسول الله صلى عليه وسلم مع أصحابه يرى صورة فريدة من العلاقة بينه وبينهم، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى في الأخلاق وحسن التعامل، شهد له بذلك رب العزة جل وعلا، وقال في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى

خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤٩﴾﴾^(٣٩)، وقال جل وعلا: ﴿فَمَا رَحِمَ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾^(٤٠) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾^(٤١)، هذه الأخلاق العالية مع ما يطلعه ربه عليه من خبايا النفوس، وأحوال النَّاسِ جعلته ﷺ يعرف أصحابه وإمكاناتهم وقدراتهم في كل المجالات، ليضع كلا منهم في مكانه المناسب، خدمة للدين بكل ما تحمل هذه الكلمة من معني وتأسيساً للمنهج الذي يحترم سنن الله في الكون. وسنذكر فيما يلي نماذج من بعض موافقه مع بعض الصحابة يظهر فيها هذا الأمر واضحاً وجلياً.

اكتشاف القدرات القيادية:

القيادة في اللغة: تعني التقدم في الأمور قال الفيرزبادي: القَوْدُ نقيض السَّوْقِ، يقود الدابة من أمامها، ويسوقها من خلفها^(٤٢)، والقيادة عند علماء الإدارة تعني: النشاط الذي يمارسه شخص للتأثير في الآخرين وجعلهم يتعاونون لتحقيق هدف يرغبون في تحقيقه^(٤٣) فهناك قيادة سياسية وقيادة اجتماعية وعسكرية وعلمية وغيرها، وقد بدأ ﷺ في تكوين المجتمع الناشئ في المدينة في الوقت الذي كانت تحيط به دول تقدمت كثيراً في مختلف المجالات، فهناك المجتمع الفارسي واليوناني الذين

(٣٩) سورة القلم، الآية ٤

(٤٠) سورة آل عمران، الآية ١٥٩

(٤١) سورة التوبة، الآية ١٢٨

(٤٢) الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، ص ٧٦

(٤٣) تنمية المهارات القيادية للعاملين وعلاقتها بالأداء

الوظيفي في مجلس الشورى السعودي، ناصر بن علي

الصامل، رسالة ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة نايف

العربية للعلوم الأمنية، ص ٢٢

(٣٧) مسلم بن الحجاج الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة

والآداب، مرجع سابق، ص ٤٢

(٣٨) المناوي، محمد عبد الرؤوف (د.ت) فيض القدير شرح

الجامع الصغير، ج ٦، دار المعرفة بيروت، ص ٢٩٥

كانت لهم حضارة وأفكار واضحة المعالم، بدأ هذا المجتمع الرباني في التشكل آخذاً بالأسباب مؤمناً بالله متوكلاً عليه، فالإيمان بعد غيبي أساسي في كل عمليات المؤمنين الحياتية والحركية، ولكن الإيمان يدعو إلى احترام نواميس الكون، وسنن الطبيعة التي اجراها الله على قوانين معينة، ودعا إلى التعامل معها بهذا المنظار.

النموذج الأول: القيادة السياسية - أبوبكر الصديق رضي الله عنه نموذجاً:

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ (٤٤)، يقول جمهور المفسرين أن

الصاحب المذكور هنا هو أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) (٤٥)، لقد تميز الخليفة أبوبكر بميزات فريدة ففاز بمرتبة الصحبة والصدقية، ذكر فضله رب العزة جل جلاله، ورسوله ﷺ، عرف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم صفات القائد الفذ فقدّمه على الأمة بإشارات تبين أهليته لهذا الأمر، وكتب الصحاح بينت فضائله، وكتب التاريخ حافلة بأخباره، وأيام الإسلام شاهدة بفضله، إن من أميز صفات القيادة في الإسلام صفة الرحمة، وقد منحه رسول الرحمة هذا اللقب دون منازع حيث قال في حقّه: أرحم أمتي بأمتي أبوبكر (٤٦) ومما يبين أهمية خلق الرحمة عند القائد ما فعله عمر رضي الله عنه مع أحد ولاته، فقد كتب عمر رضي الله عنه لرجل من

بني أسلم كتاباً يستعمله به، فدخل الرجل على عمر وبعض أولاد عمر في حجر أبيهم يقبلهم. فقال الرجل: تفعل هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبلت ولداً لي قط، فقال عمر: فأنت والله بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملاً، ورده عمر فلم يستعمله (٤٧). والرحمة لا تعني الضعف ولا تعني التهاون إنها قدرة من القدرات الوجدانية التي يستقيم بها أمر الناس، ومع هذه الرحمة تحلي الخليفة أبوبكر بكل صفات القائد من الشجاعة والكرم والحزم وحسن التنظيم والمعرفة بالناس وطبائعهم وغيرها، وكما تقدم فإن رسول الله ﷺ عرف قدراته مبكراً، فجاء تقديمه له للقيادة بإشارات دون النص عليه. قال في شرح العقيدة الطحاوية: اختلف أهل السنة في خلافة الصديق (رضي الله عنه) هل كانت بالنص أم بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار (٤٨)، ثم ساق نقلاً عن صاحب العقيدة الطحاوية نصوصاً كثيرة من كتب الصحاح تبين أحقية أبي بكر بهذا الأمر، ولما كان المقام لا يسمح بالتفصيل في هذا الموضوع فإننا نكتفي ببعض أحاديث رسول الله ﷺ يبين فيها معرفته بقدرات صاحبه، وفضله ومزيتته، فقد جاء في صحيح مسلم عنه ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. ولكنه أخي وصاحبي. وقد اتخذ الله عز وجل، صاحبكم خليلاً (٤٩)، وقال: إن أمن الناس

(٤٧) علي الصلابي (د.ت) سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار المعرفة للطباعة، بيروت، ص ٣١٨.

(٤٨) علي الطنطاوي (١٩٨٦م) أبوبكر الصديق، دار المنارة، جدة، ص ١٦٨.

(٤٩) مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب الفضائل، مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٤٤) سورة التوبة، الآية ٤٠

(٤٥) الطبري، محمد بن جرير (د.ت) جامع البيان، ج ١١، دار هجر للطباعة، ص ٤٦٤.

(٤٦) الترمذي، الجامع الصحيح، مرجع سابق، ص ٦٢٣.

على في صحبته وماله أبوبكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا تبقيين في المسجد خوذة إلا خوذة أبي بكر^(٥٠)، وعن جبير بن مطعم عن أبيه أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئاً فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجذك؟ - قال أبي كأنها تعني الموت - قال فإن لم تجديني فأتي أبابكر^(٥١)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه ادعي لي أبابكر أبأك وأخاك، حتي أكتب كتاباً فإنني أخاف أن يتمني متمنٌ ويقول قائل: أنا أولي، وبأبي الله والمؤمنون إلا أبابكر^(٥٢). هذه الطائفة من الأحاديث الشريفة تبين بجلاء تقديم النبي ﷺ أبابكر الصديق للقيادة السياسية للمسلمين بعده، وهذا ما حدث بالفعل، وأكدت التجربة والواقع أن تقديم النبي له لهذا الأمر كان تقديماً مبنياً على معرفة جامعة بقدراته وإمكاناته، فقد ظهرت هذه القدرات من ساعة وفاة رسول الله ﷺ التي كانت صدمة عظيمة على كل أصحابه، حتي عمر المعروف بالشدة والقوة طاش عقله من هول المصيبة، وتكلم كلام من فقد التركيز في تلك اللحظة، فتروي كتب السيرة أنه رضي الله عنه قال في تلك اللحظات العصبية: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات، لكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات^(٥٣)

لقد كان الناس في تلك اللحظة في حالة ذهول، يحتاجون من يرددهم إلى رشدهم، إلى الحي الذي لا يموت، إلى سنة الله في الخلق، إلى وجوب استمرارية الحياة والدعوة والدولة، وفاء لصاحب الدعوة، وكان يمكن أن يحدث ما يحدث لو لم يوجد من يفعل ذلك، فكان لها أبوبكر، ثبات كثبات الجبال الراسيات، وعقل رجيح ونطق فصيح، وقيادة في وقت الأزمات، جاء في صحيح البخاري: أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسج، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها. قال الزهري: حدثني أبو سلمة، عن عبد الله بن عباس: أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال الله: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل - إلى قوله - الشاكرين. وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب: أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات^(٥٤).

موقفه من حرب الردة:

(٥٠) المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٥١) المرجع السابق، ج ٧، ص ١١٠.

(٥٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ١١٠.

(٥٣) المباركفوري، الرحيق المختوم، وزارة الأوقاف قطر،

ص ٤٧٠.

(٥٤) البخاري، الجامع الصحيح، باب مرض النبي ووفاته،

مرجع سابق، ص ١٤.

عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيتُ أن قد شرح الله صدر أبي بكرٍ للقتال، فعرفت أنه الحق^(٥٧).

إن هذا الموقف يبين أكثر من غيره المؤهلات والقدرات القيادية الفذة التي كان الصديق يتحلى بها، فالقيادة في وقت الأزمات لا تتحمل التردد، ولا الخطأ في الحسابات، فقد جمع رضي الله عنه مع الحسم والحزم بعداً آخر هو البعد الفقهي الذي يضع الأمور في تكييفها المناسب، وهكذا ينبغي أن تكون القدرات القيادية، فالأمثل فيها أن يجمع القائد إلى شجاعته وخبرته وقوته علماً يعرف به الخطأ من الصواب، ويفرق به بين المتشابهات. إن مواقف الصديق رضي الله عنه التي تبين قدراته القيادية التي اكتشفها النبي ﷺ مبكراً، فرشحه للقيادة مواقف كثيرة ومتنوعة، ولكن لما كان المقام لا يسمح باستقصاءها تقتصر على ما ذكرنا ففيه بيان لما نحن بصدد.

النموذج الثاني: القيادة العسكرية خالد بن الوليد نموذجاً:

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي^(٥٨)، كان أحد أشرف قريش في الجاهلية وكان إليه القبة وأعنة الخيل في الجاهلية أما القبة فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش وأما الأعنة فإنه كان يكون المقدم على خيول قريش في الحرب^(٥٩).

خالد اسم يتلأل في تاريخ القادة العسكريين، تميز رضي الله عنه بمقدرات قتالية فريدة، ولهذه القدرات التي تميز بها كانت تهابه الأعداء وتحسب له ألف حساب، من الله عليه بالنصر في كل معاركه التي خاضها وهي كثيرة، فقد كان

بدأت بعض قبائل العرب التي لم يتغلغل في وجدانها الإيمان بالرجوع عما كانوا عليه من الدين ومبادئه، فبعضهم رفضه جملة وتابع الكذابين أمثال مسيلمة، وبعضهم ظل على الشهادة ولكنه امتنع عن بعض شعائر الدين كالزكاة، قال ابن كثير وهو يتحدث عن منع بعضهم الزكاة: وجعلت العرب تقدم المدينة يقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزكاة، ومنهم من امتنع من دفعها إلى الصديق، ذكر أن منهم من احتج بقوله تعالى: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

^(٥٥)، قالوا: فلسنا ندفع زكائنا إلا إلى من صلاته سكن لنا^(٥٦). وهنا تعددت الآراء فمن الصحابة من كان يرى أن يُتركوا وحالهم، وبدأوا يشيرون على الخليفة الصديق بذلك، ولكنه كان حازماً وحاسماً وحسباً للموقف حسابه، وأعطى القضية بعدها الحقيقي، فاتخذ قراره القوي بخوض الحرب ضدهم لحسم هذا التمرد العنيف الذي يهدد كيان الدولة الناشئة، ويفرط عقد النظام الذي بني على عدم التفريق بين الشعائر المقدسة إذ كلها من الله. جاء في صحيح البخاري: لما تُوفي النبي ﷺ واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقايل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ. قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يُؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال

(٥٧) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب استتابة

المرتدين، مرجع سابق، ص ١٥.

(٥٨) ابن الأثير، علي بن محمد (د.ت) أسد الغابة في معرفة

الصحابة، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٤٠.

(٥٩) المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٥٥) سورة التوبة، الآية ١٠٣.

(٥٦) ابن كثير، اسماعيل (د.ت) البداية والنهاية، ج ١، بيت

الأفكار الدولية، ص ١٠١٠.

يجيد فنون القتال، ويعرف وقت الكر والفر، وكيف يقسم الجيش، وكيف يستلم المبادرة على الأرض، كان خالد في أول أمره معارضاً كبيراً للدعوة الإسلامية، وخاض ضد المسلمين بعض المواقع المشهورة، ولما أراد الله به الإسلام جاء طائعا مختاراً محبا لله ولرسوله، يحكي عن قصة إسلامه في خبر طويل يذكر فيه صراعه النفسي وهو يحاور نفسه عن الاختيار الصحيح بين الأديان قال: فأنا على ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ في عمرة القضية، وتغيبت فلم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي في عمرة القضية، فطلبني فلم يجدني، فكتب إلى كتابا فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام... وقد سألتني رسول الله فقال: أين خالد؟ فقلت يأتي الله به، فقال: ما مثل خالد جهل الإسلام، ولو كان جعل حدّه ونكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ولقدّمناه على غيره، فاستدرك يا أخي ما فأنك منه، فقد فأنتك مواطن صالحة، قال: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام، وسرني مقالة رسول الله ﷺ^(٦٠).

إن سؤال رسول الله ﷺ عن خالد يعطي مؤشرا واضحا على المكانة التي كانت تنتظره في الإسلام، وتبين معرفة رسول الله لقدرات خالد وإمكاناته العقلية والعسكرية، إن عبارات الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه عن نكاية خالد وحده تبين ما يركز عليه رسول الله، إنها القيادة الحربية التي كانت تميز خالد، والعسكرية ليست شجاعة فقط، إنها عمل علمي دقيق يخضع لمعايير علمية واجتماعية خصوصا في هذا الزمن الذي أصبحت فيه القوة العسكرية ضرورة من ضرورات البقاء، ويتحدث العسكريون وعلماء

الاجتماع عن علم الاجتماع العسكري، ويعرفونه بأنه: ذلك الفرع من فروع علم الاجتماع الذي يعتمد على البحوث النظرية والأمبريقية في دراسة القوات المسلحة كتنظيم اجتماعي، والعلاقات الاجتماعية داخلها وعلاقتها بالمجتمع^(٦١)، وكل هذا كان موجودا ولكن بشكل مختلف في زمن خالد رضي الله عنه، فالقيادة العسكرية لا بد فيها من معرفة الجغرافيا والتضاريس، ولا بد فيها من معرفة طبائع وأحوال وأفكار الأمم المعادية، ولا بد فيها كذلك من معرفة نفسيات الجنود والمقاتلين، بالإضافة لما ينبغي أن يتمتع به القائد العسكري من الأخلاق الضرورية في هذا المجال. لقد كانت كلمات رسول الله ﷺ في حق خالد كفيلة بأن تأتي به سريعا جنديا في قوة الحق، إنها كلمات الصدق من منبع الصدق والرحمة، باشرت حلاوتها قلب خالد فاستجاب، وهكذا أصحاب النفوس الأبية، والقدرات العالية يذكروهم القول اللين، جاء خالد طائعا تائبا لرسول الله ﷺ وأعلن إسلامه. وما مضي يسير من الزمن حتى حدث الاستدعاء العسكري الجهادي من رسول الله ﷺ، ردا على اعتداء ملك بصري على رسول رسول الله ﷺ، وعلي قتل وسب المسلمين، فكان خالد جنديا ساعة تحرك الجيش، ثم قائدا بعد استشهاد القادة الثلاثة المباركين، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ نعي زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيداً فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تدرقان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم^(٦٢)، إنها نبوة رسول الله وسياسته في أصحابه، سماه سيف الله وما ذلك إلا

(٦١) فؤاد الأغا (٢٠٠٨م) علم الاجتماع العسكري، دار

اسامة للنشر والتوزيع، ص ١٦.

(٦٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، مرجع

سابق، ص ١٤٣.

(٦٠) ابن عساکر، علي بن الحسن (د.ت) تاريخ مدينة دمشق،

ج ١٦، دار الفكر، بيروت، ص ١٢٧.

وضعه واحترامه ومكانته، ولقد كانت الرعاية النبوية للمجتمع رعاية كاملة تشمل الأطفال والنساء والشباب والشيوخ، لأن كل واحد منهم له مهمة يؤديها، فالإعداد الجيد للمجتمع يستوجب الاستفادة من كل القدرات والطاقات المتوفرة في كل عمليات الانتاج الاقتصادي والاجتماعي والفكري وغيرها.

زيد بن ثابت رضي الله عنه:

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لؤذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي^(٦٦) قدم رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن إحدى عشرة سنة، فل هذا لم يشهد بدرًا لصغره، قيل: ولا أحدًا، وأول مشاهدته الخندق، ثم شهد ما بعدها، وكان حافظًا لبيباً عالماً عاقلاً^(٦٧)، ويحكي رضي الله عنه عن جزء من سيرة حياته المباركة وهو صغير فيقول: أتني بي النبي صلى الله عليه وآله مقدمه المدينة فقيل: هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة، فقرأت عليه، فأعجبه ذلك فقال: تعلم كتاب يهود، فإني ما آمنهم على كتابي، ففعلت، فما مضى لي نصف شهر حتى حذفته، فكنت أكتب له إليهم، وإذا كتبوا له قرأت له^(٦٨)، يعلق ابن كثير رحمه الله على هذه القدرات الذهنية الهائلة ويقول: وهذا ذكاء مفرط جداً^(٦٩).

تتجلى الرعاية النبوية لقدرات الذكاء والفتنة، في توجيه النبي ﷺ مباشرة لزيد بالتوجه نحو حقل التعليم، وتخصيصاً لتعلم كتاب اليهود، لغرض سام وجليل وهو تأمين مكاتبات الدولة، وتسهيل

لمعرفته ﷺ بما تميز به خالد، ثم تتكشف معرفة الرسول الكريم ﷺ بخالد القائد العسكري المحنك وبقدراته القتالية، فيصطحبه معه في فتح مكة ويأمره بالدخول من أعلى مكة من كداء^(٦٣)، وتتواصل مسيرته العسكرية قائداً مظفراً في حنين وفي حروب الردة، وغيرها من المهمات الصغيرة، يقول العقاد معلقاً على اكتشاف قدرات النبي عليه الصلاة والسلام لخالد: إن تقدير النبي عليه السلام خالد بن الوليد لم يكن تقدير المجاملة لمكانه أو لما يرجو من قومه الأقوياء بني مخزوم، فإنه عليه السلام لم يجامله في وصفه الذي طابقت حداث الأيام، ولم يجامله حين قدم عليه في القيادة ثلاثة من السابقين في الإسلام، وترك اختياره بعدهم لاتفاق كلمة المسلمين... إنما هو سيد السادة ومربي الرجال والأبطال، يقوم الأعمال بقيمتها، وينزل العظماء في منازلهم، ولا يمنعه أداء المجاملة أن يجامل بمقدار على حسب السوابق والأقدار^(٦٤).

كان النصر يحالفه دائماً في كل غزوة أرسله إليها النبي ﷺ وقد بلغت المعارك التي خاضها أكثر من خمسين معركة انتصر فيها جميعاً، فذاع صيته في بلاد العرب، وما جاورها من الممالك، وأصبح اسم خالد بن الوليد علماً للشجاعة والبطولة والإقدام^(٦٥).

القدرات الذهنية والتعليمية زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس نموذجاً:

إن المجتمع الإسلامي في عهد رسول الله ﷺ، كان مجتمعاً مثالياً، يراعاه ويضع ثوابته ويؤسس قيمه رسول الله ﷺ، فطبيعي أن توضع الأمور في نصابها، وأن يجد كل إنسان صادق مع رسول الله

(٦٦) ابن الأثير، أسد الغابة، مرجع سابق، ص ٣٤٦.

(٦٧) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ص ٨٥٦.

(٦٨) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (١٤١٥هـ)

الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد

الموجود وعلى محمد معوض، ج ٤، دار الكتب العلمية،

بيروت، ص ٤٢.

(٦٩) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ص ٨٥٦.

(٦٣) المرجع السابق، ص ١٤٣.

(٦٤) العقاد، عباس محمود (د.ت) عبقرية خالد، سلسلة كتاب

الشعب، مصر، ص ٥٢.

(٦٥) فايد العمروسي (د.ت) خالد بن الوليد، دار الشروق،

بيروت، ص ٢١.

اتصالها بالعالم الخارجي، وفتح الأفق الثقافي أمام الدعوة الإسلامية، لقد رأي ﷺ ملامح الذكاء في سرعة حفظه، وطلاقة لسانه وترتيبه، فوظف هذه القدرات فيما تحتاج له الأمة، وكان هذا بداية الرعاية لمشروع عالم كبير، أفاد الأمة فيما تخصص وتميز فيه، لقد كان رسول الله صلى عليه وسلم يمثل للأمة - بعد نبوته - المؤسسة الرسمية التي ترعي الموهوبين وأصحاب القدرات المتفردة، ويظهر جلياً ضرورة تكامل دور الأسرة وأولياء الأمور مع المؤسسات الرسمية في رعاية أصحاب القدرات الخاصة، فهذا منهج نبوي، فقد قدم أهل زيد ابنهم ومعه ملاحظاتهم على ما يتميز به، إن أمثال زيد بن ثابت هم الخامات البشرية التي لو وجدت الرعاية السليمة لتخرج في عالمنا الإسلامي العلماء الأفاضل في كل المجالات والآن لنقف مع نتائج هذه الرعاية وكيف أثمرت عالماً فذاً يجله ويحترمه كبار الصحابة، ويحفظون له مكانة كبيرة في نفوسهم، لقد كان زيد من القلائل الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله ﷺ، فقد جاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار، أبي ومعاذ بن جبل وأبوزيد وزيد بن ثابت^(٧٠)، ومما تميز فيه زيد على أصحاب رسول الله أنه كان عالماً متخصصاً في علم الفرائض، وهو من العلوم التي نبه رسول الله ﷺ على عظم شأنها، وأمر بتعلمها وتعليمها، وقد جاءته الشهادة في هذا العلم من أكبر وأفضل وأبرك من أجاز معلماً ألا وهو رسول الله ﷺ الذي قال: أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن

(٧٠) الجامع الصحيح، البخاري، مرجع سابق، ص ٣٧.

الجراح^(٧١)، ومن ثمرات رعاية النبي ﷺ لزيد أنه أصبح من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وهذه مهمة ووظيفة كبيرة، نتنبه من خلالها لوجوب رعاية الأذكاء وحسن توزيعهم في التخصصات النظرية والتطبيقية حسب الحاجة. فعن أبي إسحق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول: لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله زيدا فجاء بكتف فكتبها^(٧٢)، ومن ثمرات هذه الرعاية لهذه الموهبة أن أسهم زيد رضي الله عنه في جمع القرآن في زمن الصديق رضي الله عنه، فكان أحد أعضاء اللجنة الكبار الذين تم اختيارهم، فقد روي أن الخليفة أبوبكر قال له: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فنتبع القرآن فاجمعه^(٧٣)، ومن ثمرات الرعاية النبوية أيضاً لزيد وقدراته الذهنية والعلمية أن أسهم زيد في كتابة المصاحف الأئمة التي كان يبعث بها الخليفة عثمان للأمصار^(٧٤).

هكذا قضى زيد حياته علمية جهادية مباركة، حتي توفي في السنة الخامسة والأربعين للهجرة، تاركا وراءه خيراً كثيراً ودرسا بليغاً يقف عنده التريبون وعلماء النفس ليستلهموا منه العبر والفوائد، ولما مات زيد رضي الله عنه قال عنه ابن عباس رضي الله عنه في نبرة حزينة: هكذا ذهاب العلم، لقد دفن اليوم علم كثير^(٧٥).
عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

(٧١) ابن العربي، أبوبكر (د.ت) عارضة الاحوذى، ج ١٣، دار الكتب العلمية بيروت، ص ٢٠٣.

(٧٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٧٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، ص ٨٥٦.

(٧٤) الجامع الصحيح، البخاري، مرجع سابق.

(٧٥) العدوي، مصطفى (١٩٩٥م) الصحيح المسند من فضائل الصحابة، ط ١، دار ابن عفان للنشر، السعودية، ص ٤٠٣.

للوضوء، فجهز لرسول الله ﷺ وضوءاً، وهذا تصرف من غلام صغير ما كان ليفعل ذلك لولا أنه يتمتع بقدرات عقلية وذهنية عالية، وفي الحديث الثاني يخاطب رسول الله ﷺ بكلام لا يصدر إلا من الكبار الذين يعرفون قدره ويعظمون شأنه ﷺ، ومعرفة قدر رسول الله ﷺ من المهمات في الدين، لأن الله أمر بها توقيراً وتعزيراً وتبجيلاً وقال في ذلك جل شأنه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٨) لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩) ﴿٧٨﴾، فتصرف ابن عباس وإن لم يرضه رسول الله ﷺ، إلا أنه استحسّن قوله، وأعجبته فصاحته واستحضاره لهذه المعاني، فدعا له.

فهذه قدرات أيضاً تحتاج للرعاية، وفي دعاء رسول الله ﷺ له تنبيه لذلك، ودعاؤه ﷺ مستجاب، فلذلك من يتتبع حياة ابن عباس يجد الاهتمام البالغ من الصحابة به سيرا على توجيه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فعن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات ليلة فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم قال: ما تقولون في قول الله تعالى: إذا جاء نصر الله والفتح؟ قال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: ألك ذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أهلك فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول (٧٩).

نشأ ابن عباس رضي الله عنه قريباً من بيت النبوة، بحكم قرابته من رسول الله ﷺ، وقرابته من أم المؤمنين خالته ميمونة رضي الله عنها، وابن عباس الذي تقدمه نموذجاً ثانياً على التميز في القدرات الذهنية والتعليمية ورعايتها ونتيجة هذه الرعاية يمثل أيضاً درساً بليغاً في كل تفاصيل حياته الكريمة، فمنذ صغره بدت عليه علامات الفطنة والذكاء، ومن رعاية الله وتوفيقه له أن كان قريباً من رسول الله ﷺ، الذي كان يراقب تصرفاته وهو صغير فيكتشف أن ابن عباس فتى غير عادي. فيحكى عن نفسه رضي الله عنه ويقول: دخل النبي ﷺ الخلاء فوضعت له وضوءاً، قال: من وضع هذا؟ فأخبر، فقال: اللهم فقهه في الدين (٧٦) وعنه رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آخر الليل، فصليت خلفه فأخذ بيدي، فجرّني فجعلني حذاءه، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صلاته خنست، فصلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما انصرف قال لي: ما شأنني أجعلك حذائي فتخنس؟ فقلت يا رسول الله أؤينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله؟ قال: فأعجبته، فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً (٧٧).

تكررت روايات دعاء النبي ﷺ لابن عباس بالعلم والفقه في الدين، مع تكرار مواقف التميز والإبداع منه رضي الله عنه، ففي الحديث الأول ربط ابن عباس بين دخول الخلاء والحاجة

(٧٦) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الوضوء، مرجع سابق، ص ٤١.

(٧٧) الساعاتي، أحمد عبد الرحمن (د.ت) الفتح الرباني

بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢٢، دار التراث

العربي، ص ٢٩٣، وقال فيه: أورده الهيثمي في مجمع

الزوائد، وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه

الحاكم في المستدرک وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة، وأقره الذهبي

(٧٨) سورة الفتح، الآية ٨-٩.

(٧٩) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير، مرجع

سابق، ص ١٧٩.

وينظر أمامه، ويتقدم خطوة خطوة لتحقيق فيه دعوة رسول الله ﷺ.

لقد أفاد ابن عباس رضي الله عنه الأمة لما قام بالإحسان فيما أقامه الله فيه، فيروي أن معاوية خرج حاجاً وخرج معه ابن عباس، فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب، ممن يسأل عن الفقه^(٨٠).

ومن المواقف المهمة والجليلة التي تظهر قدرات ابن عباس الذهنية والتعليمية، موقفه مع الخوارج الذين قاتلوا علياً رضي الله عنه، فقد كان موقفاً صعباً تعرضت فيه كلمة الأمة للخطر التمزق والاحتراب، والأدهي والأمر أنهم كانوا يستندون إلى القرآن الكريم، وينطلقون في فكرتهم منه، والقرآن حمّال ذو وجوه، لا يجيد الخوض في معانيه إلا من أوتي فهماً دقيقاً يتوصل به إلى أسرار الكتاب ودقائق معانيه، كيف لا وهو القائل عن نفسه رداً على من شتمه وأساء إليه: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال، إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل فلو ددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به من سائمة^(٨١).

ففي قصة الخوارج يحكي ابن عباس عن نفسه فيقول: لما اعتزلت حروراء وكانوا في دار على حدثهم قلت لعلي: يا أمير أبرد لي بالصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال فإني انخوفهم عليك، قلت: كلا إن شاء الله قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم نائمون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوما قط

لقد علم رسول الله صلي الله وسلم أصحابه أن يأخذوا الأمور بكل جد وحزم، وألا يكون عندهم أي نوع من التواكل والانهزام، لقد فهموا جيداً أن الله خلق هذه الدنيا على سنن كونية لا بد من طلبها والاجتهاد فيها، مع التوكل عليه والعلم أن الأمر كله عند مسبب الأسباب، ولذلك تري مثل ابن عباس مع يقينه بدعاء الرسول ﷺ له يبذل جهده في تحصيل العلم، ويتعرض في سبيل ذلك للمشقة والعنت، وتلك دائماً سمات الأذكياء وأصحاب القدرات الفريدة، تكون لهم همم عالية ونفوس أبية وأهداف جليلة، يتحدون الصعاب، يسعون دائماً للتميز ليس من أجل الصيت والسمعة والجاه، إنما يشعرون بأن لهم رسالة وواجب لا بد من القيام به على الوجه الذي يرضي عنهم ربهم، يقول ابن عباس: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم لنسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم إليوم كثير، فقال: واعجبا لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تري ؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابي، فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلي فأتيتك ؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، قال: فبقي الرجل حتي رأني وقد اجتمع الناس عليّ، فقال: كان هذا الفتى أعقل مني...

صفات كثيرة وأخلاق فريدة في هذه القصة، فتري فيها التواضع، والصبر على التعلم، والنقة بالنفس، فبينما يقلل هذا الأنصاري من شأنه وشأن صاحبه إذ يقول له: أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تري ؟ يتقدم ابن عباس غير آبه بهذا الكلام

(٨٠) العدوي، الصحيح المسند من فضائل الصحابة، مرجع

سابق، ص ٤٢٩.

(٨١) المرجع السابق، ص ٤٣٠.

تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام إن الله عز وجل يقول: ﴿الَّذِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ﴾ (٨٥)، فأنتم ترددون بين ضلالتين فاختراروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، قال: وأما قولكم أنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا فقال: اكتب هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال: والله إني لرسول الله وإن كذبتوني، اكتب يا علي محمد بن عبد الله، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من علي، أخرجت من هذه؟ قالوا اللهم نعم، فرجع منهم عشرون ألفاً، وبقي منهم أربعة آلاف، فقتلوا (٨٦).

هذه هي ثمرة الرعاية لمثل هذه القدرات الذهنية العالية، علماء ربانيون تجري الحكمة على أفواههم، ويجمع الله بهم شتات الأمة، إننا مدعوون لإعادة النظر في كيفية إعداد العلماء الربانيين، والبحث في الخامات البشرية ذات القدرات الذهنية العالية، لأن الاجتهاد وفهم أصول التشريع والاستنباط مسألة تحتاج إلى الأذكياء الصالحاء.

المبحث الثالث: وسائل اكتشاف القدرات وتنمية المهارات في السنة النبوية:

يرتبط هذا المبحث بالمبحث السابق ارتباطاً وواضحاً ووثيقاً، إذ المهارة هي الحظ والانتقان فالشخص المتمكن في قدرات معينة يعد ماهراً فيها، فالنموذج الأول أبوبكر الصديق يعد ماهراً في القيادة السياسية وفق المعطيات التي ظهرت

أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها تفن الإبل، ووجوههم معلبة من آثار السجود، قال: فدخلت فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم لتحدثته، قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختنه وأول من آمن به؟ وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معه؟ قالوا ننقم عليه ثلاثاً، قلت: ما هن؟ قالوا: أولهن أنه حكم الرجال في دين الله وقد قال الله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾ (٨٧)، قال: قلت: وماذا؟ قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم، قال: قلت: وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قال: قلت: أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحديثكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ما لا تتكرون أترجعون؟ قالوا نعم، قال: قلت: أما قولكم: حكم الرجال في دين الله فإنه يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصِّدِّيقَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ﴾ (٨٨) إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (٨٩)، وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٩٠)، أنشدكم الله أحكم الرجال في حق دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا اللهم في حق دمائهم وصلاح ذات بينهم، قال: خرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم، وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم أنسبون أمكم أم

(٨٧) سورة الأنعام، الآية ٥٧.

(٨٨) سورة المائدة، الآية ٩٥.

(٨٩) سورة النساء، الآية ٣٥.

(٨٥) سورة الأحزاب، الآية ٦.

(٨٦) العدوي، الصحيح المسند من فضائل الصحابة، مرجع

سابق، ص ٤٢٧-٤٢٨.

في شخصه، وخالد بن الوليد ماهرا في القيادة العسكرية، وزيد بن ثابت وابن عباس ماهران في القدرات الذهنية والتعليمية، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ كثيرون لهم قدرات عالية في مجالات مختلفة، وتطورت هذه القدرات حتي أصبحت مهارات مميزة، ولكن طبيعة البحث تقتضي أن نقتصر على نماذج محددة.

ومما سبق فإن المتتبع لسيرة رسول الله ﷺ يرى أن هناك وسائل عديدة اتبعها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في اكتشاف قدرات أصحابه، ومن ثم العمل على تطوير هذه القدرات. لقد أيد الله رسوله ﷺ بالوحي، وبالمعجزات، وبكثير مما ليس في مقدور البشر العاديين، وخصه الله تعالى بالأخلاق العظيمة وقال في ذلك:

﴿وَأَنَّا لَعَلَّيْ خُلِقَ عَظِيمٌ ۝﴾^(٨٧)، فقد عاش الصحابة مع رسول الله ﷺ وتربوا على يديه بعد أن صدقوه وآمنوا به وأحبوه، فكان لهم بمنزلة الوالد والمعلم فأعطوه ظاهرهم وباطنهم، ونستطيع القول إن أخلاق رسول الله ﷺ وصفاته الحميدة هي التي جعلت أصحابه يلتفون حوله قال تعالى ﴿فَمَا رَحِمَهُم مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝﴾^(٨٨)

﴿٨٨﴾، فقد لان لهم وقرب منهم، ومنحهم الثقة في أنفسهم، فمنحوه أنفسهم كلها ومن وسائل السياسة النبوية في اكتشاف القدرات دقة الملاحظة ومراقبة تصرفات الصغار، فقد كان ﷺ يهتم بأصحابه ومتابعة أخبارهم، وتقلبات أحوالهم، فمن ملازمة أبي بكر له عرف النبي ﷺ قدراته القيادية، فرشحه بالإشارة للخلافة والقيادة السياسية، ومن ملاحظته لتصرفات ابن عباس

وزيد بن ثابت وهما صغيران اكتشف فطنتهما وقدراتهما الذهنية، ومن وسائل اكتشاف القدرات عند رسول الله ﷺ طرح الأسئلة وتحريك الأذهان فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبُودَايِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ^(٨٩)

السياسة النبوية في تنمية المهارات:

يقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين، ومذكرهم بفضله عليهم برسول الله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝﴾^(٩٠)، وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾^(٩١)، إن حرص رسول الله ﷺ على أمته ورحمته بها يدلان على أنه حريص على إيصال الخير لها، وترقيتها في مقاماته في الدنيا والآخرة، وهذا بحد ذاته مؤشر واضح على اهتمامه ﷺ بتطوير المهارات الفردية والجماعية، لتبلغ الأمة مبلغ الرشد والشهود الحضاري على باقي الأمم. وهذا أمر واضح في كثير من نصوص القرآن والسنة، ومن أبرز ملامحه.

أولاً: الإيمان بالله وأسمائه وصفاته والإخلاص له: الإيمان بالله هو الذي يعطي للحياة قيمتها ومعناها، وهو الذي يجعل الأعمال هادفة وموجهة، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

^(٨٩) البخاري، الجامع الصحيح، مرجع سابق، ص ٢٣.

^(٩٠) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

^(٩١) سورة آل عمران، الآية ١٢٨.

^(٨٧) سورة القلم، الآية ٤

^(٨٨) سورة آل عمران، الآية ١٥٩

يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ ﴿٩٢﴾ فالإيمان مفجر للقدرات مطور للمهارات، فيه يستمد الإنسان القدرة من القادر والحكمة من الحكيم والعلم من العليم وهكذا، وفي هذا المعنى يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة^(٩٣)، قال ابن حجر بعد أن تكلم بتوسع عن هذا الحديث: ولإحصاء معانٍ أخرى، منها الإحصاء الفقهي، وهو العلم بمعانيها من اللغة، وتنزيهاها على الوجوه التي تحملها الشريعة، ومنها الإحصاء النظري وهو أن يعلم معنى كل اسم، بالنظر في الصيغة، ويستدل عليه بأثره الساري في الوجود، فلا تمر على موجود إلا ويظهر لك فيه معنى من معاني الأسماء، وتعرف خواص بعضها وموقع القيد ومقتضي كل اسم، قال: وهذا أرفع مراتب الإحصاء، قال: وتام ذلك أن يتوجه إلى الله تعالى من العمل الظاهر والباطن بما يقتضيه كل اسم من الأسماء، فيعبد الله بما يستحقه من الصفات المقدسة التي وجبت لذاته^(٩٤)، فحضور العبد بقلبه مع الأسماء الإلهية يعطيه قوة متجددة، ويسلم من العجز ومن وساوس شياطين الإنس والجن، ويتوكل على الله ويفعل الأسباب ويجتهد فيها ويعلم أن الكون يجري بقدرة الله على سنن كونية قدرها الله وبثها في هذا الوجود، ولذلك حرص رسول الله ﷺ على غرس الإيمان في قلوب أصحابه، فبه النجاة في الآخرة، وبه الصلاح في الدنيا، بل دعا أن يكون المؤمن قويا فاعلا، فقد جاء عنه ﷺ: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على

ما ينفك واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل: قدر الله. وما شاء فعل. فإن لو تفتح عمل الشيطان^(٩٥)، فالإنسان المؤمن مدعو إلى القوة، وترك العجز، واستنهاض الهمة والبحث عن قدراته وإمكاناته، وتوظيفها لصالح الأمة والدعوة. وهذا هو رسول الله صلي اله عليه وسلم يدعو ابن عباس وهو غلام صغير للإستعانة بالله والتوكل عليه، فيقول ابن عباس: كنت خلف رسول الله صلى الله على وسلم يوماً فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف^(٩٦).

والمؤمن مطالب بالإخلاص في عمله قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٩٧﴾، إن الإنسان حينما يتحلى بهذا السلوك تنبعث طاقاته الداخلية بفاعلية عالية، لأنه لا ينتظر ثواباً من أحد غير الله، ولا يخاف من أحد سوي الله، ولا يعني هذا أنه يحرم نفسه من أجر الدنيا وثناء الناس لأنه لا يتعارض مع الإخلاص إن لم يسع إليه ويجعله من المراتات، قال الشاطبي رحمه الله: إنا نعلم أن الشارع شرع الصلاة وغيرها من العبادات لا لنحمد عليها ولا لننال بها في الدنيا شرفاً وعزاً أو شيئاً من مطاعمها، فإن هذا ضد ما وضعت له

(٩٢) سورة النحل الآية ٩٧

(٩٣) مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة

والآداب، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٩٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق،

ص ٢٢٧.

(٩٥) مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة

والآداب، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٩٦) ابن العربي، ابوبكر (د.ت) عارضة الاحوذى، ج ٩، دار

الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٢١.

(٩٧) سورة البينة، الآية ٥

العبادات، بل هي خالصة لله رب العالمين، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(٩٨)، وهكذا شرعت أعمال الكفاية لا لينال بها عز السلطان ونخوة الولاية وشرف الأمر والنهي، وإن كان قد يحصل ذلك بالتبع، فإن عز المتقي لله معلوم ثابت شرعاً حيث يأتي تبعاً للعمل المكلف به، وهكذا القيام بمصالح الولاية من حيث لا يقدح في عدالتهم حسبما حدّه الشارع غير منكر ولا ممنوع، بل هو مطلوب متأكد، فكما يجب على الوالي القيام بمصالح العامة، فعلي العامة القيام بوظائفه من بيوت أموالهم إن احتاج إلى ذلك، وقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنَابَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(٩٩) وقال: ﴿وَرَزَقْنَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^(١٠٠) إلى غير ذلك مما يدل على أن قيام المكلف بحقوق الله سبب لإنجاز ما عند الله من الرزق^(١٠١)، ويدخل في هذا أبواب كثيرة لا مجال لبسطها هنا .

ثانياً: الدعاء:

الدعاء من الأمور المهمة التي أمر الله بها عباده في كتابه الكريم فقال ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(١٠٢)، وهو سبب في حصول الخيرات ودفع المكروهات، وللدعاء أثر كبير في حياة المسلم ينبغي ألا يغفل عنه، والدعاء قبل ذلك عبادة عظيمة يتجلي فيها معني الخضوع لجلال الله والتذلل بين يديه والتحقق

بعبوديته، لذا كان صلوات الله وسلامه عليه يكثر من الدعاء ويعلم أصحابه أنواعا كثيرة من الدعوات في مختلف الأحوال والظروف، وكان يدعو لهم ويبارك لهم أشياءهم، ويكفي أن نأخذ دعاءه لابن عباس حينما رأي عليه علامات الذكاء والفطنة، فباركه ودعا له فكان من مستقبله ما كان، إن حياتنا وحياة أولادنا ومستقبلهم تحتاج للدعاء الخالص، والله جعل الطلب سببا من الأسباب، فإذا أراد أن ينجز للعبد ما سبق له عنده فتح له باب الطلب، فإذا حصل له الطلب حصل ذلك الذي قسم في الأزل إظهاراً للحكمة، فيكون الدعاء من جملة الأسباب العادية المشروعة، كالحرث والدواء والتزوج للولد علاوة على ما فيه من الافتقار وإيداء الفاقة، وليس الدعاء طلباً لحصول ما لم يكن، لذا متي ما أطلق الله لسان العبد بالدعاء فهو يريد أن يعطيه وعلي العبد ألا يستعجل.^(١٠٣)

ثالثاً: التحفيز والتشجيع:

من وسائل تنمية المهارات في السنة النبوية، التحفيز والتشجيع، والتحفيز هو دفع الناس نحو عمل معين بمقابل ما، وهذا أمر غريزي في النفس الإنسانية، فإنها تنشط إذا وجدت المعين، وتتهض إذا وجدت من يحثها ويعدها بحسن العاقبة والجزاء الحسن، ولقد ظهر هذا الأسلوب في سياسة النبي ﷺ لأصحابه، فأحياناً يحفزهم بالوعد بالجنة ورضا الله، وأحياناً بالعطاء المادي المباشر، وأحياناً يحفزهم معنوياً بالثناء الحسن والصفات الجميلة فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٠٤) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالْعَبْثِ

^(٩٨) سورة الزمر، الآية ٣.

^(٩٩) سورة طه، الآية ١٣٢.

^(١٠٠) سورة الطلاق، الآية ١٠٠.

^(١٠١) الشاطبي، ابراهيم بن موسى (١٩٩٠م) الموافقات، ط ١، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٣٩.

^(١٠٢) سورة غافر، الآية ٦٠.

^(١٠٣) عبد الكريم نتان، عون المريد شرح جوهرة

التوحيد، مرجع سابق، ص ٩٥٤.

وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾^(١٠٤)، فأصحاب القدرات العالية في الإنفاق وكظم الغيظ والإحسان حينما يسمعون هذا النداء الإلهي سيسارعون إلى المزيد والمزيد من مثل هذه الأعمال، ومثل هذا في كتاب الله تعالى كثير ومتنوع، إن خطاب القرآن الكريم في موضوع العلم والعمل جاء في الغالب عاما ليشمل مهارات عديدة في عبارات موجزة، وغالبا ما يجيء على قاعدة حذف المتعلق، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١٠٥) وكما في قوله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١٠٦)، يقول الدكتور يوسف العالم: يعني اعملوا لديناكم وأخرتكم، ولأنفسكم وأمتكم، وحذف متعلق العمل يدل على العموم، وأن خيرى الدنيا والآخرة منوطان بالعمل^(١٠٧)، ويشجع النبي صلى الله على وسلم كل أفراد المجتمع للقيام بمهامهم على الوجه الأكمل، فكل فرد له أهميته وله واجبه ورسالته التي يُسأل عنها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية هي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته^(١٠٨)، ويحث النبي ﷺ أصحاب الأعمال اليدوية على أعمالهم ويحفزهم بالإخبار أن طعامهم خير طعام فقال: ما أكل أحد طعاما قط

^(١٠٤) سورة آل عمران، الآية ١٣٣-١٣٤.

^(١٠٥) سورة الزمر، الآية ٩.

^(١٠٦) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

^(١٠٧) العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، مرجع

سابق، ص ٤٩٢.

^(١٠٨) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الاستقراض، مرجع

سابق، ص ١٢٠.

خيرا من يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده^(١٠٩)، كما جاء التشجيع والتحفيز للعلم والتعلم في سنة النبي ﷺ بصورة مستفيضة وفي ذلك دلالة واضحة وكافية أن السنة النبوية اهتمت برفع القدرات وتنمية المهارات حتي يصبح المجتمع مجتمعا منتجا محسنا. عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمَسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ"^(١١٠)، إن هذا المثل يحفز الناس بشدة ليتسارعوا ويتسابقوا نحو تحصيل العلم والوصول إلى مرحلة الماهر به، وغير هذا في سنته عليه الصلاة والسلام كثير فيه الحث على تنمية المهارات وتطوير القدرات.

ومن صور التحفيز ما فعله رسول الله ﷺ يوم حنين، فقد أعطي وأنفق على بعض الناس إنفاقا واسعا، ليؤلفهم ويقربهم نحوه ونحو الأمة الطاهرة، وحينما وجد الأنصار في أنفسهم لأنهم لم ينالوا شيئا من هذا العطاء، جمعهم وعالج نفوسهم ووصفهم بأجمل الأوصاف، وسمح لزعيمهم سعد بن عباداة بالتعبير عن رأيه بكل حرية دون حجر ولا حرج، وهذا بحد ذاته يعتبر مؤشرا من زاوية أخرى لتطوير مهارة القيادة والمحاورة.

رابعا: تبادل الخبرات والمعلومات:

في أي مجتمع من المجتمعات تتفاوت المعلومات والخبرات، فالكبار الذين عركتهم التجربة ليسوا

^(١٠٩) المرجع السابق، كتاب البيوع، ص ٥٧.

^(١١٠) المرجع السابق كتاب العلم، ص ٢٧.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، فقد تناول هذا البحث موضوع السياسة النبوية في اكتشاف القدرات وتنمية المهارات، من أهم النتائج والتي توصل إليها ما يلي:

النتائج:

- يلتقي معني السياسة في هذا البحث مع المعني المعروف للتربية إذ كل منهما يعني بتنمية الإنسان .
- جاء منهج النبي ﷺ وسياسته في اكتشاف القدرات على مستويين، مستوي نظري، وآخر تطبيقي عملي.
- أظهر البحث اهتمام النبي ﷺ الشديد، بمعرفة قدرات أصحابه، وتنمية مهاراتهم، ووضع كل منهم في ما يناسبه.
- أبوبكر الصديق رضي الله عنه يمثل نموذجاً فريداً في امتلاك قدرات القيادة السياسية.
- خالد بن الوليد رضي الله عنه يمثل نموذجاً فريداً في امتلاك قدرات القيادة العسكرية.
- زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما يمثلان نموذجاً فريداً في امتلاك القدرات الذهنية والتعليمية.
- من وسائل السياسة النبوية في اكتشاف القدرات دقة الملاحظة، والحبّة بالأخلاق الحسنة، والأسئلة وتحريك الأذهان وغيرها.
- من وسائل السياسة النبوية في تنمية المهارات الإيمان بالله، والدعاء، والتحفيز والتشجيع، وتبادل الخبرات والمعلومات وغيرها.

التوصيات:

- ضرورة ربط السنة النبوية بالعلوم العصرية وفق منهج يحافظ على الموروث ويستفيد من المكتسب .

كصغار السن، والمتعلمون ليسوا كغيرهم، ولقد أسس رسول الله ﷺ منهجاً فريداً في تبادل الخبرات والمعلومات، حيث كان يسمح للصغار بمجالسة الكبار لنقل التجربة واكتساب المهارات في صورة متقدمة، كما كان يثير الأسئلة على أصحابه ويستدعي أفكارهم في كثير من المواقف.

فهذا عمر بن الخطاب يصطحب ولده عبد الله لمجلس رسول الله ﷺ وفيه كبار الصحابة، فعن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: أخبروني بشجرة تشبه، أو: كالرجل المسلم، لا يتحات ورقها، ولا ولا ولا، تؤتي أكلها كل حين. قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلّم، فلما لم يقولوا شيئاً، قال رسول الله ﷺ: هي النخلة. فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون، فكرهت أن أتكلّم أو أقول شيئاً، قال عمر: لأن تكون قلتها، أحب إلي من كذا وكذا^(١١)، ففي هذا الحديث نري مخالطة الصغار للكبار أصحاب التجربة، ونري الأسلوب النبوي الحكيم في استدعاء الأفكار، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى بشاراً، وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله، لا أؤثر بنصيب منك أحداً، فتلّه في يده^(١٢)، وفي مخالطة النبي ﷺ للصغار ومراقبتهم أحاديث كثيرة يستفاد منها أهمية تبادل الخبرات بين الصغار والكبار، وبين الكبار أنفسهم، إن مجتمعنا في كافة مناحي حياته في حاجة ماسّة إلى الهدى النبوي الكريم، فإنه الخير العميم والبركة الوافرة.

(١١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير ج٦، مرجع سابق، ص ٧٩ .

(١٢) المرجع السابق، كتاب الهبة، ج٣، مرجع سابق، ص ١٦١ .

- لفت نظر التربويين والقادة والمصلحين إلى ما في سنة النبي ﷺ من النظم الاجتماعية والإدارية المتميزة.
- رعاية الندوات والمؤتمرات التي تدرس السنة النبوية وفق منهج متكامل يعم كافة مناحي العلوم والتخصصات.
- تدريس مقررات في الكليات العلمية والأدبية تحتوي على مثل هذه الجوانب، لتتكامل المعارف التطبيقية والأدبية مع تطوير الذات وفق المنهج النبوي.
- المصادر والمراجع**
- **القرآن الكريم**
- ١. يوسف حامد العالم (١٩٩٤م) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ط٢، دار الكتاب الإسلامي الرياض.
- ٢. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (د.ت) المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب القدر، ج١٦، المطبعة المصرية .
- ٣. عبد الحليم أحمدي، فطرية الإسلام عند ابن تيمية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٢٠ مايو ١٩٩٣م.
- ٤. الزبيدي، مرتضى (د.ت) تاج العروس، ج١٦، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.
- ٥. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٣٠٠هـ) لسان العرب، ج٧، المطبعة الأميرية بولاق، مصر.
- ٦. باقر شريف القرشي (١٩٨٧م) النظام السياسي في الإسلام، ط٤، دار المعارف للمطبوعات.
- ٧. حمودة، محمد يوسف (١٩٨٩م) منهج التربية عند الإمام أبي العزائم، ط١، دار المدينة المنورة للطبع والنشر.
- ٨. البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٨٧م) الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، ج٥، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت .
- ٩. تتان، عبد الكريم (١٩٩٤م) عون المريد شرح جوهرة التوحيد، ط١، ج١، دار البشائر للنشر والتوزيع، دمشق.
- ١٠. مسلم بن الحجاج (د.ت) الجامع الصحيح، باب فضل الماهر بالقرآن، ج٢، المكتبة العامرة تركيا.
- ١١. القاضي عياض (١٩٩٨م) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ط١، ج٣، دار الوفاء مصر.
- ١٢. الراغب الأصفهاني (١٩٨٥م) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ط١، دار الصحوة، القاهرة .
- ١٣. القاضي عياض (د.ت) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٤. الترمذي، محمد بن عيسى (١٩٨٦م) الجامع الصحيح، ط١، ج٤، دار الفكر بيروت.
- ١٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (د.ت) فتح الباري، كتاب الرقاق، ج١١، المكتبة السلفية.
- ١٦. المناوي، محمد عبد الرؤوف (د.ت) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٦، دار المعرفة بيروت.
- ١٧. تنمية المهارات القيادية للعاملين وعلاقتها بالاداء الوظيفي في مجلس الشوري السعودي، ناصر بن علي الصامل، رسالة ماجستير في العلوم الإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- ١٨. الطبري، محمد بن جرير (د.ت) جامع البيان، ج١١، دار هجر للطباعة .
- ١٩. علي الصلابي (د.ت) سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار المعرفة للطباعة، بيروت.
- ٢٠. علي الطنطاوي (١٩٨٦م) أبوبكر الصديق، دار المنارة، جدة.
- ٢١. المباركفوري، الرحيق المختوم، وزارة الأوقاف، قطر.
- ٢٢. ابن كثير، اسماعيل (د.ت) البداية والنهاية، ج١، بيت الأفكار الدولية.
- ٢٣. ابن الأثير، علي بن محمد (د.ت) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤. ابن عساكر، علي بن الحسن (د.ت) تاريخ مدينة دمشق، ج ١٦، دار الفكر، بيروت.
٢٥. فؤاد الآغا (٢٠٠٨م) علم الاجتماع العسكري، دار اسامة للنشر والتوزيع.
٢٦. العقاد، عباس محمود (د.ت) عبقرية خالد، سلسلة كتاب الشعب، مصر.
٢٧. فايد العمروسي (د.ت) خالد بن الوليد، دار الشروق، بيروت.
٢٨. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (١٤١٥هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٩. ابن العربي، أبو بكر (د.ت) عارضة الاحوذى، ج ١٣، دار الكتب العلمية بيروت.
٣٠. العدوي، مصطفى (١٩٩٥م) الصحيح المسند من فضائل الصحابة، ط ١، دار ابن عفان للنشر، السعودية.
٣١. الساعاتي، أحمد عبد الرحمن (د.ت) الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢٢، دار التراث العربي.
٣٢. ابن العربي، أبو بكر (د.ت) عارضة الاحوذى، ج ٩، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣. الشاطبي، إبراهيم بن موسى (١٩٩٠م) الموافقات، ط ١، ج ٢، دار الكتب العلمية، بيروت.